## المحاضرة التاسعة والثلاثون: المدخل الاثنو غرافي الوصفي

يسمى المدخل أيضاً باسم المدخل الوصفي الرمزي التفسيري ويتزعمه كل من فيكتور تيرز وكليفورد جيرتز. ويتفق كل من تيرنر وجيرتز على الاهتمام بدراسة مشكلة (المعنى) وعلى أهمية الوصف أو التفسير الذي يقدمه أفراد المجتمع المدروس، الذي يكشف ليس فحسب عن نظرتهم لأنفسهم بل أيضاً عن رؤيتهم للكون والآخرين والبيئة المحيطة بهم. لكنهما يختلفان من حيث الأطر النظرية في معالجة الوصف أو التفسير الذي يقدمه الإخباريون أو أفراد المجتمع المحلي موضوع الدراسة.

### أولاً: فيكتور تيرنر Victor Turner

استخدم تيرز أساليب متعددة ومختلفة في جمع المادة العلمية المتعلقة بالرموز والشعائر فضلاً عن أنه استخدم مناهج ونظريات متنوعة في تحليل الرموز. ويرجع ذلك إلى أن الرموز وخاصة الرموز الأساسية أو المهيمنة تجسد أو تمثل مجموعة من المبادئ والموضوعات الثقافية المختلفة. فالرمز المهيمن يمكن أن يظهر في أكثر من جانب من جوانب الحياة الاجتماعية أو في أكثر من شعيرة. فعلى سبيل المثال توجد شجرة اللبن التي تعد رمز أساسي في مجتمع ديمبو بزامبيا في أكثر من شعيرة حيث تظهر في شعائر تكريس الذكور والإناث من الأطفال/ مثلما تظهر في خمسة شعائر مختلفة متعلقة بخصوبة المرأة وبنضج الفتاة والإنجاب والولادة.

نموذج آخر (الوضوء في الإسلام) الوضوء رمز أساسي يشير إلى الطهارة من الدنس ويتجسد في أكثر من شعيرة الضوء عند الصلاة وعند الدعاء وفي التسبيح وفي قراءة القرآن.

أو اللغة رمز أساسي تستخدم في مواقف اجتماعية متباينة، أو الملابس البيضاء، فالعروس تلبس الملابس البيضاء في يوم الزفاف وتلبس عند الصلاة، أو ارتدائها من قبل شريحة الأطباء والممرضين، فهنا المواقف الاجتماعية متباينة لكن الرمز (الأبيض) يشير إلى المعنى ذاته النقاء والطهارة... الخ.

اعتمد تيرنر في دراسته للمجتمع من خلال المدخل الرمزي على عدة أطر نظرية استخدمها في وحدة واحدة، هذه الأطر النظرية تستند إلى آراء دوركايم Durkheim وماكس في التماسك الاجتماعي. فضلاً عن استناده إلى آراء كارل ماركس Karl Marx ولاسيما تلك التي تتعلق بعدم الانسجام في العلاقات الاجتماعية والمتمثلة في وجود الصراع بين مكونات المجتمع. ومحور اهتمام تيرنر هنا الكشف عن العوامل التي تحقق تماسك المجتمع بالرغم من وجود الصراع والتناقض الذي يعد حالة طبيعية في الحياة الاجتماعية. اهتم تيرنر أيضاً بنظرية (فان جنب) Van Gennep عن شعائر المرور Rites of Passages التي يقسمها إلى ثلاثة مراحل هي الانفصال Separation والانتقال Transition والاندماج أو الاتحاد Incorporation

**ويمكن إجمال الأساليب والمناهج التي اتبعها تيرنر في دراسته للرموز التي يبدو واضحاً فيها تأثير النظريات التي استخدمها.**

١- المعلومات والمعطيات المتعلقة بالرموز والشعائر المتضمنة للرموز يمكن الحصول عليها عن طريق التركيز على الخصائص والصفات الخارجية

التي يمكن ملاحظتها. ويضرب تيرنر على ذلك بشعيرة نضج الفتاة في مجتمع ديمبو، إذ أن الخصائص والصفات الخارجية تتمثل أو تظهر في الطريقة التي تلف بها الفتاة في رداء وتستلقي عند جذع الشجرة (شجرة اللبن) التي تعد رمزا مهيمناً. كما أن الجانب الحسي من شجرة اللبن يظهر في تلك المادة البيضاء التي تشبه اللبن التي تخرج من الشجرة.

نموذج آخر (طقوس عقد القرآن عند المسلمين- الشيعة). العروس ترتدي الملابس البيضاء الفضاضة وتجلس في مواجهة المرآة وتقرأ القرآن "سورة إنا فتحنا" وتوضع رجليها في ماء الورد وتوضع حبات الهيل بين أصابع يديها ورجليها، وتوقد لها شمعة بيضاء اللون، وتهيء صينية تضم اللبن الحلو والقيمر والعسل والخضروات، وتقف حولها ممن هن سعيدات في حياتهن الزوجية... الخ. كل هذه الرموز لها أو تشير إلى معان. طقوس أخرى "طقوس زكريا و دورة السنة ٢١ آذار أو طقوس الطهور"... الخ.

٢- أن معاني الرموز المهيمنة والرموز والشعائر يمكن استنتاجها واستخلاصها عن طريق التفسيرات أو الشروح التي يقدمها الأخباريون أو المواطنون (مجتمع الدراسة). ويميز تيرنر بين نوعين من التفسيرات. فمن ناحية هناك تفسيرات الإخصائيين الذين لديهم معرفة خاصة بالشعيرة الرمزية والذين يقودون الجماعة في أدائها.

من ناحية أخرى هناك التفسيرات التي يقدمها غير المتخصصين الذين يشتركون في أداء الشعيرة. ففي شعيرة بلوغ أو نضج الفتاة كما يوضح تيرنر يذهب المتخصصون الذين يقودون تلك الشعيرة إلى أن شجرة اللبن هي شجرة قديمة وهي في الوقت ذاته رمز للأمومة أو الانتساب إلى الأم في ذلك المجتمع

الأمومي. أما غير المتخصصين الذين يشتركون في أداء الشعيرة يفسرون شجرة اللبن على أنها رمز يشير إلى وحدة واستمرارية مجتمع ديمبو فشجرة اللبن بالنسبة لأحد الإخباريين هي بمثابة الرمز المميز لذلك المجتمع.

٣- الفهم الإجرائي Operational Understanding للرموز

يتحقق ذلك النوع من الفهم عن طريق الملاحظة ليس فحسب ما يقوله الأفراد بل أيضاً ما يفعلونه سواء في مواقف أو شعائر معينة.

وهذا الفهم الإجرائي، يتطلب من عالم الانثروبولوجيا أن يهتم ببناء وتكوين الجماعة التي يؤدي أو يمارس أفرادها أفعالاً معينة مرتبطة برموز محددة. والفهم الإجرائي يتطلب الاهتمام بالجوانب الانفعالية الوجدانية للفاعلين.

٤- تحليل العلاقات والمضمون، ويعني تيرنر بمفهوم العلاقات هنا أن معنى الرموز ينبع من علاقته بالرموز الأخرى في مضمون كلي محدد.

هذا النوع من التحليل يعد العمل النهائي والأساسي للباحث الذي يهتم بدراسة المجتمع والثقافة ليس فقط من خلال مفهوم الفعل الاجتماعي والشعائر بل أيضاً من خلال مفهوم النسق الرمزي وعلاقة كل رمز بالرموز الأخرى المؤلفة لذلك النسق.

ومفهوم الرمز بهذا المعنى يرتبط بخاصية تعد من أهم خصائصه المميزة وهي أن له- أي الرمز معاني متعددة ومتمايزة تظهر في مضمونات مختلفة وفي علاقات متنوعة مع رموز أخرى.